

من السنن الإلهية: قانون الاستدراج وواقعنا المعاصر



تكلّمنا في عدّة خُطَبٍ سابقة عن فقه السنن الإلهيّة، وقلنا: إِنَّ فَهْمَ سنن الله في الكون يُوَدِّي إلى فَهْمِ الواقع وما يجري فيه.
وقلنا: إِنَّ هذه السنن الإلهية ثابتةٌ ودائمةٌ ومضطرّدةٌ.

ولذلك، فَإِنَّ ثُلُثَ القرآن الكريم يتحدث عن قصص السابقين، وتجد دائماً أو غالباً بعد ذِكْرِ القصص في سورةٍ من السُّور تعقيباً قرآنياً عن السنن الكونية الجارية: “سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ” (الأحزاب: 38)، و “سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا (الإسراء: 77)، و “قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ” (آل عمران: 137) وهذا كلّهُ لنفقه الواقع الذي نعيشه.

مرّ على حرب غزّة هذه الشهور الطويلة، نسأل الله أن يُفَرِّجَ عنهم، وما زال



الناس يتساءلون، هذا السؤال الذي يتكرر كثيرا وماذا بعد؟ ما هي النهاية؟ نقول لك: إذا فقهت سنن الله الكونية ستعرف الجواب.

لكن قبل أن أدخل إلى سنة اليوم، أود أن أنبه إخواني على أمر مهم:

إن سماع الأخبار في وقتنا الحالي دون أن يكون لك زاد من القرآن، سيصيبك باليأس والإحباط والفشل.

أي قناة إخبارية الآن همها هو الإحصاءات، والأرقام، والتحليلات، والأبعاد، والسياسات، والاستراتيجيات، ولا تجد قناة منهم تتكلم عن قدرة الله، أو ربط الناس بالله، أو معنى الابتلاء، أو معنى الصبر، أو المعاني الإيمانية التي يجعلها الله تعالى بردًا وسلامًا على القلوب عند نزول هذه الأزمات، أو عند شدتها.

فحتى لا يكون عندك يأس وإحباط وفشل وتردد، بل وربما حيرة وشك وسوء ظن، والعياذ بالله، سوء ظن بالله، وسخط على هذا الواقع، نقول لك: لا بد من زاد من القرآن، لا بد أن تفقه سنن الله في الكون.

وحديثنا اليوم عن سنة من سنن الله لها ارتباط كبير بواقعنا، هي: سنة الاستدراج.

أولا/ ما معنى سنة الاستدراج؟

عندنا "السلم" نسميه درج. لماذا درج؟ لأنه درجة فوقها درجة، فوقها درجة، حتى تصل إلى ما تريد: الطابق الثاني، الثالث، وهكذا.



فالاستدراج من التدرج، وهو معنى: أنَّك تقترب من الشيء حيناً بعد حين، درجةً بعد درجة.

وهذا ما ورد في القرآن: “وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ. وَأُمْلِي لَهُمْ ؟” [١] إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ” (سورة القلم، الآيتان 44-45) سنستدرجهم معناه نأخذهم درجة درجة شيئاً فشيئاً، واستدرج الله العبد : أمهله ولم يباغته، أو جرّه قليلاً قليلاً إلى العذاب، بمعنى أن يُنعم الله على الإنسان نعمةً بعد نعمة، ويتركه في الغفلة والمعصية.

“وَأْمَلِي لَهُمْ”: الإِمْلاء هنا بمعنى الإِمهال؛ يُملي الله لهم يعني يُمهّلهم، يُعطيهم مُدَّةً، يُعطيهم وقتًا وزمنًا.

لكن بعد هذا الاستدراج، وهذا الإِمْلاء أو الإِمهال: “إِنْ كِيدِي مَتِينَ”.

ثانيا/ العطاء الديني لجميع الخلق:

حينما ننظر إلى دُنْيا الناس نفْتَن، ويتساءل البعض:

لماذا هذا رجل لا يؤمن بالله، عاصٍ، ظالم، فَعَلَ وفَعَلَ وفَعَلَ، ومع هذا هو في نعمة؟!

يلبس أفخم الملابس، ويركب أحسن سيارة، ويعيش في كذا، ويأكل كذا، وإلى آخره.

ثم ننظر إلى الجهة الأخرى، نجد أهل الإيمان أهل ابتلاء، واستضعاف، ويُنكَل



بهم، ويؤذون، ويضيق عليهم، فيُفتن المرء إذا لم يفقه سُنَّة الله تعالى في الكون.
العطاء الإلهي في الرزق للجميع: مؤمن وكافر، والعطاء للمؤمن أو للكافر
بحكمة، ليست فوضى.

بحكمة يعلمها الله، "وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ ۚ فِي الرِّزْقِ" (النحل: 71).
كما أن هناك عصاة وكفار أغنياء، يوجد مسلمون أتقياء، أولياء لله، أغنياء.
وكما أن عندنا كفار أغنياء، يوجد كفار فقراء، وعصاة فقراء، وتجد من اجتمع
عليه الشقاء بخسارة الدنيا والآخرة.

وهناك مؤمنين فقراء إلى الله عز وجل، أغنياء بالله، بل هم أغنى ما يكون، كما
يذكر عن عيسى عليه السلام: افترش الأرض، والتحف السماء إني لأغنى الأغنياء.
غناهم في قلوبهم، وليس بالأشياء المادية الزائفة، التي يظنها الناس أنها منتهى
السعادة وقمة الغنى والمجد والثروة، إلى آخر ذلك.

اسمعوا ماذا قال الله عز وجل: "فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ ۚ وَنَعَّمَهُ ۚ
فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ. وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ ۚ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ. كَلَّا..."
(الفجر: 15-17).

هذا هو الإنسان الذي ليس عنده هدى الله، يرى أن العطاء والغنى والثروة وسائر
الخيرات، علامة حب الله له: "رَبِّي أَكْرَمَنِ"،
وأن المنع والتضييق والابتلاء علامة الإهانة: "رَبِّي أَهَانَنِ".

قال الله: “كَلَّا”، ليس الأمر كما تظنون، “بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ. وَلَا تَحْضُونَ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ. وَتَأْكُلُونَ الثَّرَاثَ أَكْلًا؟ لَمْ؟ ا. وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا؟ جَمًّا؟” (الفجر: 17-20).

المشركون في زمن النبي ﷺ قالوا: “نحن أكثر أموالاً وأولاداً، وما نحن بمعذبين.” “غني الدنيا هو غني الآخرة؟!

فبين الله لنبينا ﷺ، والآيات في سورة سبأ: “قُلْ إِنْ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ” (سبأ: 36). وبين الله سبحانه وتعالى أن البسط أو التضيق – “يقدر” يعني يضيق – ليس علامة حب الله أو بغض الله.

“وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا؟ فَأُوْلَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الْوَعْدِ بِمَا عَمِلُوا؟ وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ ءَامِنُونَ” (سبأ: 37).

إذا فالقُربى عند الله عز وجل، ليست بما تملك من مال، ولا شهادات علمية، ولا مناصب.

القُربى من الله بالعمل الصالح، الكرامة عند الله ليست بكثرة مالك، ولا عيالك، ولا مكانتك، ولا ألقابك، ولا نياشينك، ولا أوسمتك، إنما بعملك الصالح: “إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ” (الحجرات: 13).

إذا يا إخواني، هذه قاعدة مهمة: العطاء الدنيوي لجميع الخلق.

قال تعالى: “كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءَ وَهَؤُلَاءَ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ ۖ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا” (الإسراء: 20).

وبين الله عز وجل أنه إذا أعطى، يُعطي لحكمة، وإذا منع، منع لحكمة، حتى ينبني الكون على الحاجة.

لأنه لو لم تكن هناك حاجة، لتوقف الكل.

ما الذي يدعوك أن تذهب إلى العمل؟ في الحر، وفي البرد، عندك مرض، عندك ألم، في زحام، أو ما في زحام..... تذهب للعمل رغم كل هذا لماذا؟
الحاجة هي المحركة.

قال تعالى: “وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ ۖ لَبَغَوْا ۚ فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنْزِلُ بِقَدَرٍ ۖ مَا يَشَاءُ ۚ إِنَّهُ ۚ بِعِبَادِهِ ۚ خَبِيرٌ ۚ بَصِيرٌ ۚ” (الشورى: 27).

فالله تعالى يُعطي الجميع، وليس معنى العطاء أنه أحب هذا وأبغض ذاك.
حب الله وبُغضه يتوقف على طاعة العبد لربه.

ثالثاً/ متى أعلم أن ما أنا فيه نعمة أم استدراج؟

إذا كنت على طاعة الله، فاعلم أنك في نعمة.

الغني الشاكر أفضل من الفقير الصابر؛ الغني الشاكر عند الله سبحانه وتعالى له درجة، وله مكانة.

ونحن عندنا من الصحابة الأجلاء: أبو بكر الصديق، وعثمان بن عفان، وعبد



الرحمن بن عوف، والزبير بن العوام، كلهم من المبشرين بالجنة، وغيرهم كثيرون، كانوا أغنياء كرماء.

عثمان بن عفان، النبي ﷺ قال: "ما ضر عثمان ما فعل بعد اليوم." لماذا؟ لأنه بذل ماله لله.

أبو بكر الصديق، قال الله تعالى عنه: "وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ ۖ يَتَزَكَّى. وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ ۖ مِنْ نِعْمَةٍ ۖ تُجْزَى. إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى. وَلَسَوْفَ يَرْضَى" (الليل: 17-21).

إذاً إذا كنت في نعمة، فاسأل نفسك: هل أنا مُطيع لله أم على معصية لله؟ فإذا كنت في طاعة الله، تكسب مالك من حلال، من عرق جبينك، تعرف حق هذا المال بالزكاة، وإعانة المحتاج والملهوف، وتصل به الرحم، وتنفق به على زوجتك وعيالك، فقل: اللهم لك الحمد.

إنما رجل، سبحان الله، كلما فتح الله له نعمة، ازداد عصيانياً وطغياناً، فاعلم أن هذا استدراج من الله. نسأل الله العافية.

ونرى بعض الناس يقول: "أنا ربنا فاتح علي!"
اسمعوا يا إخواني: الفتح نوعان: فتح إنعام، وفتح استدراج.

فتح إنعام، كقول الله تعالى: "إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا" (الفتح: 1)، وقوله تعالى: "وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا ۖ وَاتَّقَوْا ۖ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ

وَالْأَرْضِ” (الأعراف: 96).

ففتح الله تعالى على عبدٍ من عباده فتح إنعام، بأن يفتح له باب طاعة، باب عمل صالح، باب إحياء سُنَّة، باب إمامة في الخير؛ هذا فتح إنعام من الله.

أما فتح الاستدراج، فهذا الذي قاله الله عنه في سورة الأنعام: “فَلَمَّا نَسُوا ۖ مَا ذُكِّرُوا ۚ بِهِ ۖ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ ۖ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا ۖ بِمَا أُوتُوا ۖ أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً ۖ فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ” (الأنعام: 44).

كل وسائل الحضارة المادية ملكوها، كل وسائل القوة ملكوها، “فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ”، حتى إذا فرحوا بما أُوتوا، علَّوا، وفرحوا، وأصابهم الغرور والطغيان، وزاد الظلم، وزاد الأذى، أخذناهم بغتة.

أصابهم عذاب الله فجأة، “فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ”، متحيرون، من أين أُتوا؟ كيف أصابهم البلاء؟!

“فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا ۖ ۚ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ” (الأنعام: 45).

نقرأ في القصص القرآني كيف وقف فرعون يقول في كبرياء وغرور: “أَنَا ۖ رَبُّكُمْ الْأَعْلَىٰ” (النازعات: 24).

ونقرأ عن قوم عاد كيف قالوا لنبي الله هود عليه السلام: “مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً” (فصلت: 15).

ووقف قارون، أغنى من عرفته البشرية، يقول عن ماله: “إِنَّمَا أُوتِيتُهُ ۖ عَلَىٰ عِلْمٍ



عِنْدِي” (القصص: 78).

وغيرهم كثير من أمثلة القرآن.
فماذا كانت النتيجة؟ لقد كانوا كمن يسعى إلى مكان هلكته:

• أما فرعون: فمات غريقاً، لا حول له ولا قوة.

• وقارون: “فَخَسَفْنَا بِهِ^٤ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ” (القصص: 81).

• وعاد: أهلكهم الله بريح صرصرٍ عاتية، ريح شديدة مهلكة، أفنتهم عن آخرهم، فأصبحوا “فَأَصْبَحُوا^٥ لَا يُرَى إِلَّا مَسْكِنُهُمْ” (الأحقاف: 25).

هذا هو القرآن يا إخواني، لكننا، كما قال النبي ﷺ، نستعجل. نريد مشهد النهاية.

إذاً، فهناك علامات للاستدراج:

• كلما زادت النعمة، زاد الطغيان،

• زاد الظلم،

• زاد الفجور،

• زاد الإفساد في الأرض.

كلما زادت النعمة، ظنّ أنه مُخلّد فيها الأرض...

نبي الله هود قال لقومه: “أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ. وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ” (الشعراء: 128-129).

“مصانع” هنا ليست جمع “مصنع” بمعنى شركات الصناعات - كلا، “مصانع” هنا: أبنية معينة، كانوا يبنونها، وقصوراً، وقلاعاً، “وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون” وعندنا إلى الآن قصور وقلاع تاريخية، في العالم كله، لها آلاف السنين. أين أهلها فنوا، انتهوا.

“وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون. وإذا بطشتم بطشتم جبارين” (الشعراء: 129-130).

يصدر القرار، فيُقلب الأرض عاليها سافلها، وتحدث خسائر بالملايين، بالمليارات.

يُصدر القرار، بسفك دماء، وتدمير مدن، وغرور، وطغيان، وفساد.

الله تعالى يُطمئننا، يقول: “وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ” (إبراهيم:

(42).

رابعاً / لماذا يُمهّل الله الظالم؟

لماذا يتركه الله، بل ويُعطيه؟ لعدة حكم:

1- لأن الدنيا ليست دار الجزاء، الدنيا ليست هي النهاية.

هذا المشهد الذي نحن فيه مشهد الابتلاء للجميع. قال تعالى "وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً" [؟] [؟] "وَالْيَنَّا تُرْجَعُونَ" (الأنبياء: 35).

ولذلك قال الله تعالى: "وَلَوْلَا كَلِمَةٌ [؟] سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ" (يونس: 19)، و
"وَلَوْلَا كَلِمَةٌ [؟] سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا [؟] وَأَجَلٌ [؟] مُّسَمًّى [؟]" (طه: 129).

ما هي الكلمة؟ أن هذه الدنيا للابتلاء.

بهذه الكلمة، أمهل الله إبليس لما تمرد على أمر الله ورد الأمر على الله ؛
قال: "قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ. إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ" (ص: 80-81).
أمهله الله؛ لأن الدنيا دار ابتلاء.

وأمهل الله تعالى فرعون، لما قال: "أَنَا [؟] رَبُّكُمُ الْأَعْلَى" (النازعات: 24).
وأمهل قارون، وأمهل عاد وثمود كل هذه الأمم، ويُمهّل الظالمين قديماً وحديثاً،
حتى إذا ظن أنه الزعيم الأوحده، الخالد، الكبير، العظيم، الجليل، الذي يفعل ما
يشاء، ويصدر القرارات، ويذل من يشاء، ويقرب من يشاء.... هنا، يأتي بأس الله،
ويأتي أمر الله عز وجل، فلا يُردّ بأسه، عَنْ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ.



قال رسول الله ﷺ: "إن الله ليملي للظالم، حتى إذا أخذه لم يفلته."

فالله حلیم لا يُعجل، لأنه لا يخشى فوات الشيء.

2- الحكمة الثانية: والله سبحانه وتعالى يُمهّل؛ عسى أن يتوب الطاغية ويرجع إلى الله .

3- وحتى لا يكون له عذر عند الله فيقول "يا رب، أنت عجلتني بالعذاب، كنت أريد أن أتوب، كنت أنوي أن أتوب!"
أمامك المدة، تُب إلى الله.

يرسل الله تعالى الرسل: "رُسُلًا^١ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ^٢ بَعْدَ الرُّسُلِ" (النساء: 165).

4- أيضاً: من الحكم ابتلاء للمؤمنين! لماذا لا نسلم بهذه الحقيقة؟
الذي يحدث من مجازر، ومأس، ومقاتل، ومظالم، وسجون، ومعتقلين، قديماً وحديثاً، ابتلاءات، قَدَر الله عز وجل، هذا ليرفع درجات عباده المؤمنين، وليتبين من الصادق ومن الكاذب.

قال تعالى: "أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا^١ أَنْ يَقُولُوا^٢ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ"
(العنكبوت: 2).

5- من الحكم، أن يبرز معنى أن الكون بيد الله، يا إخواني، ألا تقرأون سورة يس؟

آخر آية: “فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ ﴿١﴾ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ ﴿٢﴾ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ” (يس: 83).

هو المهيمن جل جلاله، هو المهيمن، بيده ملكوت كل شيء، وإليه يُرجع الأمر كله، يُدبر الأمر، “وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ” (هود: 123)، و“وَاللَّهُ بَصِيرٌ ﴿٣﴾ بِالْعِبَادِ” (غافر: 44) ألا نقرأ هذه الآيات في القرآن؟!

تأملوا الواقع الذي نعيشه، الله ليس بغائب عنه جل جلاله، ولا بغافل، حاشاه سبحانه.

فالسؤال العجيب الذي يتكرر: أين الله مما يحدث؟ لماذا كذا؟ لماذا؟
يا أخي، من أنت؟ حتى تُسيء الأدب مع الله؟ وتملي على الله ماذا يفعل، وماذا يترك؟

جل جلاله، يفعل ما يشاء بحكمته، ويحكم ما يريد بعزته.

فليس من حق أي عبد من عباد الله أن يُملي على الله: “افعل كذا” أو “لا تفعل كذا” لأنه جل جلاله “فَعَالٌ ﴿١﴾ لِّمَا يُرِيدُ” (البروج: 16)، و“وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ﴿٢﴾ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ” (القصص: 68).

لقد حدث هذا لخير خلق الله، من الأنبياء، لنتعلم يا إخواني ونتربى.

ألم يقتل نبي من أنبياء الله، سيدنا يحيى عليه السلام، وقتل أيضا أبوه زكريا، وتآمروا على نبي الله عيسى عليه السلام، فرفعه الله إليه، والنبي محمد ﷺ تعرض لمحاولات عدة للقتل، فنجّاه الله بقدرته سبحانه وتعالى، وغيرهم من



أنبياء الله عليهم جميعاً الصلاة والسلام...

لنتعلم يا إخواننا، لنتأسى.

الدنيا ليست مشهد النهاية، النهاية عند الله يوم القيامة "وَأِنَّمَا تُوقَنَ أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ" (آل عمران: 185)،

"وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً" (الأنبياء: 47).

أنت ترى المشهد كله: مآسي، دماء، مجازر، مذابح... وتنسى أن هذا المشهد عند الله له صورة أخرى، أنت لا تراها، لأنها غيب.

ارتقى 70 شهيداً من الصحابة في غزوة أحد، وأصاب المسلمون مصاباً عظيماً، فما من بيت إلا وفيه شهيد أو جريح.

فأراد رسول الله ﷺ أن يبشّرهم، فقال: "لما قُتِلَ إخوانكم يوم أحد، جعل الله أرواحهم في حواصل طير خضر، ترد أنهار الجنة، وتأوي إلى قناديل مُعلّقة في ظلّ العرش." فلما رأوا طيب مأكلهم ومشربهم، قالوا: "من يبشّر إخواننا؟ من يُخبر إخواننا؟ لئلا يَنكلوا، حتى لا يتراجعوا أو يتكاسلوا عن نصره رسول الله، وعن نصره دين الله." فقال الله: "أنا أخبر عنكم."

ونزلت الآيات، هذه الآيات نقرأها في سورة آل عمران: "وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ۖ بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ. فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۚ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ ۚ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ. يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ ۚ وَاللَّهُ لَا يُضِيعُ أَجْرَ



الْمُؤْمِنِينَ” (آل عمران: 169-171).

أيها المؤمن، نعم، نحن بشر، نتألم، نتوجع، نبكي، والله... مما نرى:

• الصحفي الذي أُحرق حيًّا لما قُصِفَت خيمة الصحفيين، والمستشفيات التي تُدمر، والأطفال التي يُصيبها ما يُصيبهم، ومآسٍ كثيرة... هل تظن أن الله غافل عن كل هذا؟ هؤلاء الشهداء أكرموا بكرامة الله، ارتقوا إلى ربٍّ عظيم، يُجازي ويُعطي الأجر الجزيل، وتبقى لعنة هذه الدماء على من أصابها، واقتربها، ومن أعان عليها.

لكن، كما قال النبي ﷺ: “ولكنكم تستعجلون...”

وبدلاً من السؤال: “ما هي نهاية الأمر؟” أقول لك: ماذا فعلت لإنهاء هذا الأمر؟ للتخفيف من هذا الأمر؟

الأخت المهندسة ابتهاج أبو السعد، التي وقفت في احتفال “مايكروسوفت”، وقالت كلمة حق زلزلت عرش مايكروسوفت، بحضور كل القيادات، وكل المسؤولين، فهوت أسهم مايكروسوفت في الأرض. هذه المرأة بمليون حاكم عربي، بمليون عسكري مقاتل، هذه أدّت دورها هي. وكلماتها القليلة كانت أقوى من 1000 طلقة رصاص، لأنها أصابت هؤلاء



الداعمين لهذا الكيان المعتدي الظالم الطاغي وفضحتهم أمام وسائل الإعلام العالمية وتناقلتها وكالات الأنباء ونشر المقطع ملايين المرات عبر وسائل التواصل.

ومعنى هذا أن في الأمة قلوباً حيّة، وألسناً طاهرة تنطلق بقول الحق، مع علمها بأن لهذه الكلمة ضريبة ستدفعها، فأمتنا بخير.

والبشرية لن تعدم الإنسانية فهناك على المستوى الإنساني الكثيرون، ممن في قلوبهم الرحمة يتألمون ويحزنون على ما يحدث بغزة .

فبدلاً من وضع اليد على الخد والبكاء، والصعبانيات (كما نقول في العامية)، اسأل نفسك ما هو دوري؟ ماذا أستطيع أن أفعل للتخفيف عن إخواني؟ ماذا أستطيع أن أفعل لإيقاف هذا النزيف الدائم؟ ماذا أفعل لآخذ على يد الظالم في ظلمه؟

المظاهرات التي خرجت في نيويورك الأسبوع الماضي، لم تكن غير مسبوقة. أدت إلى الإعلان الآن أن الحرب ستتوقف في أقرب فرصة بعد التوصل إلى اتفاقية لتبادل الأسرى.

فلا بد يا إخواني أن يكون هناك دعم إيجابي، غضب عاقل يصب في مصلحة الضغط على الحكومات، لإيقاف الحرب أو لتخفيف المصاب عن المصابين. أنا لا أغمض عيني وأقول: "لا يوجد شيء"، إنما أقول: نبذل ما في وسعنا، ونبذل ما في طاقتنا حتى نعذر إلى الله، ثم يفعل الله ما يشاء.



ما عجزت عنه ليس في قدرتي، فهو على حسب ما يقضي الله.

له حكمه، وله سبحانه وتعالى قضاء نافذ.

نسلم له، ونستسلم له، ونرضى بما يقدره سبحانه وتعالى، ونعلم أن للظالم يوما يقع به بأس الله.

وأقصد بـ”ظالم” هنا اسم جنس، الظالم هذا سواء كان شخص، أو دولة، أو كيان، أو حزب، أو حكومة، أو أمة.

هذا الظالم، قديماً وحديثاً، له يوم قال تعالى: “وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ” (يوسف: 110).

“وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ” [؟] وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ” (الرعد: 41).

اقرأوا القرآن يا إخواني، هو زادنا في هذه الأيام، تصبروا بما ورد في القرآن من قصص الأنبياء والأمم السابقة، وحال هؤلاء الكرام: حملة وحي الله، ومبلغى رسالات الله إلى البشرية.

كيف صبروا، وكيف احتسبوا، وكيف كانت العاقبة للمتقين؟

كما قال الله لنبينا: “فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ” [؟] وَلَا يَسْتَخِفُّكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ” (الروم: 60).

نسأل الله سبحانه وتعالى في هذه اللحظات المباركات:



اللهم، يا سامعاً لكل نجوى، ويا كاشفاً للضرِّ والبلوى،

أنت غياثنا، فبك نغوث، وأنت لِيَاذَنَا، فبك نلوذ.

اللهم، فرِّج الكرب والبأساء والضراء عن المستضعفين في مشارق الأرض
ومغاربها.

اللهم، اغث إِخواننا بفلسطين،

اللهم، فرِّج الكرب عن إِخواننا بغزة،

اللهم، فك عنهم الحصار والتضييق،

اللهم، أطعمهم من جوع، وآمنهم من خوف.

اللهم، استر عوراتهم، وآمن روعاتهم.

اللهم، احفظهم بحفظك، واكأهم بعينك، واعزهم بنصرك، يا خير الناصرين.

ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار.